

الفنّانة التي تُلهِمُ السعادة

حوار مع الفنّانة الألمانية هيلّا بيرينت



هيلّا بيرينت فنّانةٌ من نوع فريد، فهي نَحّاتة ورَسّامة وبانيةٌ نُصِبَ فنيةٌ وخزّافة، يعكسُ نتاجها الفني موهبة وثقافة تتغلغل جذورها في تربة الفلسفة والميثولوجيا والشعر، ويتحرك نسغها صاعداً في جذع القوة الفنية المشكّلة لأعمالها المتعددة بفروعها العديدة، والتي تشمل المنحوتات واللوحات والنصب الفنية. بتحفيزٍ من هذه الثقافة تفتح بيرينت العمل الفني على المؤثرات الكونية، ليشكل ذروة، أو تجلياً للتقاطعات الثقافية الخلاقة القادمة من كل البلدان. المدقق في أعمالها سيدد الروح الألمانية متجاوزة مع الروح الهندية والصينية والفارسية والفرعونية والعربية والأمريكية وكل هذه المؤثرات تلعب دوراً في خلق انسجام بين ما يتبعثر وينتضى ويظل عصياً على التشكل. وهنا يكمن التحدي للفنان هو خالقُ انسجام في النهاية ومولّد إحياءات تُشير إلى أعماق تظلّ هاربة، وما استخدام بيرينت للشعر المكتوب باللغة العربية بخط يدها على منحوتاتها وأعمالها الخزفية إلا إشارة إلى الروح المتجاوزة للحدود الضيقة والتي تحتاج إلى ما هو كوني كي تؤكد نفسها وحضورها، ذلك أن العمل الفني في النهاية هو عمل خزفي أو حجري أو خشبي أو لوني كوني يمكن أن ينظر إليه ابن أية ثقافة ويرى ما يخاطبه فيه، أو يومئ له ويشير. هذا، ما تصبو إليه هيلّا بيرينت، التي حالفني الحظ في أن أزورها في مرسماها في مدينة كولن الألمانية وأن أقضي معها وقتاً للتعرف على أعمالها الفنية ونظرتها إلى الفن.

إن أعمال هيللا بيرينت الفنية عصارة رحلة معرفية بدأت في ألمانيا وشملت بلداناً كثيرة، لهذا يمكن القول إن فنّها هو نتاج أنوات فنية عدة، عاش كلّ منها في سياق مختلف. في تكوينها بعدّ كونيّ، وما نعنيه بهذا هو أن ذات المبدعة خرجت من سياق ثقافة لغتها وتجاوزت الحدود نحو عالم أرحب.

درست هيللا بيرينت الفنون في جامعة هامبورغ من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٦، وفي ١٩٧٧ أسست منزل الفنون في هامبورغ وبعد ذلك غادرت المدينة وانتقلت إلى إيطاليا. في الأستوديو الأول الخاص بها في فلورنسة طورت في عملها مفهوم الرسم الموسّع، والذي قاد من تجربة حجم الجسد إلى تجربة حجم الفضاء.

بعد وفاة والدها في ١٩٧٩، والذي وافته المنية شاباً، شغلها موضوع الموت والفناء فسافرت إلى مصر كي تبحث في فكرة الموت والخلود. وفي ١٩٨١، سافرت إلى نيويورك حيث أمضت عاماً واحداً كي تنهي تجربتها في الرسم الموسع في المكان.

في نهاية الثمانينيات عادت إلى ألمانيا حيث ارتبطت بغاليري إرهارد كلاين. في التسعينيات سافرت إلى بومباي ونيودلهي وعاشت بين البوذيين القادمين من التبت. في الهند قررت استخدام مادة الحجر في النُصب التي بنتها، الأحجار المقطوعة بحدة ومرتبة في ترتيبات خطية.

سافرت إلى إيران ومصر وتركيا وتونس وسوريا وأقامت معرضاً في سوريا وآخر في إيران. في ١٩٩٨ و ٢٠٠٢ و ٢٠٠٨ و ٢٠١٤ طورت بيرينت منحوتات في مركز أعمال الخزف الأوربي في هولندا حيث جربت إنشاء مرايا خزفية واستكشاف اللون اللازوردي والكوبالتي والفيروزي في قطع الجدران المصنوعة من الطوب المزجج باللون الأزرق. في الثمانينيات قامت باستقصاء اللون الأسود كمادة وتبع ذلك استقصاء للون الأزرق كمادة في النحت، وقامت بجمع نتائج هذه الاستقصاءات في كتب وصور منذ التسعينيات.

ثمة طاقة فكرية وافرة في أعمالها، تتجلى أشكال تبدو متشظية وموحية، أشكال كالمكعبات ومسارات ضوء وعرة، تتوحد فيها تجارب الذات والعالم معاً لخلق وجهة نظر حسية للواقع تكبر إلى أبعاد كونية.

تقول الناقدة إنغريد راين إن هيللا بيرينت تسعى إلى الوصول إلى سمو وأعماق تاريخية وأسطورية لكن المشاهد لأعمالها يبقى منغمساً في الإحساس بالزمن التاريخي لوقت قصير قبل أن يعلق في أعالي اللازمي والرؤيوي، فما لا يمكن أن يُوحّد يُفرض عليه الانسجام في النهاية ويُعاد توحيد كل تلك الشظايا التي تصنع تاريخنا، وتجربتنا الجمعية، وحيواتنا الفردية.

هيللا بيرينت عضو منذ ٢٠١٠ في جمعية الفنانين الألمان وعُرضت أعمالها في معظم مدن العالم، بمناسبة معرضها القائم حالياً في صالة متحف الآثار في نابولي، كان الحوار التالي:



نص الحوار:

أسامة إسبر: علاقتك مع العالم العربي تعود إلى ١٩٧٩، العام الذي سافرت فيه إلى مصر بعد أن حفّزتك أسئلةٌ ميتافيزيقية حول الموت والخلود، كيف أثرت بك هذه الزيارة الأولى؟

هيلا بيرينت: أولاً، أمتلك حدساً عميقاً حيال الأمكنة التي أسافر إليها وأمضي فيها وقتاً، فقد وُلدتُ في شمال أوروبا ومنذ أن درست الفن في هامبورغ امتلكت رؤية حول ضرورة الانطلاق جنوباً عبر جبال الألب إلى إيطاليا ثم إلى شمال أفريقيا. توفي أبي فجأة وأنا في سن مبكرة من حياتي. كنت إلى جانبه حين غادرت روحه جسده الميت. سافرت بعد ذلك في الحال إلى مصر، والتي كنتُ قد تعرفت سابقاً على أساطيرها وثقافتها وآثارها من طريق قراءة الكتب في شبابي. كان التأثير المصري في فني تجريبياً فحسب، أو يمكن أن تصفه بالميتافيزيقي.

أ.!: يبدو اللون الأزرق مهماً جداً لك، وقد استخدمته في كثير من أعمالك الفنية. ما الذي سحرك فيه؟

هيلا بيرينت: إن اللون الأزرق يمكن أن يُعدّ لون الحياة والفضاء والتجاوز. إنه يجسد بالنسبة لي نوعاً من الانطلاق والسفر، أو رحلة إلى العوالم الماورائية.



(أفكار إيروتيكية)



أ. إ: متى بدأت بإدخال الخط العربي أو بالأحرى شعرك المترجم والمكتوب بالعربية إلى أعمالك الفنية، وما الذي دفعك للقيام بذلك؟ كيف يضيف هذا إلى عملك الفني؟

هيلا بيرينت: تلقيتُ دعوة في التسعينيات إلى مركز الفنون الخزفية في هولندا وكانوا يبحثون آنذاك عن فنانيين غير مختصين بالخزف. في ذلك المكان شرعت بإدخال الكتابة العربية إلى أعمالِي الفنية ولقد حدث هذا على نحو مفاجئ. بدأت الاشتغال على عمل مفاهيمي وهو بناء كتل كبيرة بألوان زرقاء وتركوازية. واكتشفت بالمصادفة أنني أستطيع أن أبدع بسهولة أية أشكال من الطين، وبما أنني كنت أتعلم في ذلك الوقت الخط العربي المحبب جداً إلى قلبي، قررتُ أن أعلم هذه الأعمال بأن أكتب عليها شعري المترجم إلى العربية، وهكذا بدأت حكايتي مع إدخال الكتابة بالعربية إلى أعمالِي الفنية.



(اللغة في الريح، ٢٠١٣)

أ.إ: تخترقين الحدود في فنك وتعيدين اكتشاف نفسك في سياقات أوسع، كيف يغني اختراق الحدود الثقافية هوية الفنان؟

هيلا بيرينت: هذا يندرج في إطار التجربة الشخصية التي تصوغ هوية الفنان. ومن الجوهري أن يعرف الفنان مصادر إلهامه.

أ.إ: لقد قمتِ بدراسة واستكشاف اللونين الأزرق والأسود، كما لو أنك تبحثين عن عروق الإلهام الذهبية، أي لون منهما تحدّث معك أكثر، ومن الأغنى بينهما بالنسبة لك؟

هيلا بيرينت: من الصعب الإجابة عن هذا السؤال. ثمة تاريخ شخصي يعكس الحياة ورحلة البحث، فأنت تبحث عن الفضاء كي تكتشفه وتصل إلى ما يغني وعيك أثناء رحلتك في الحياة. لقد حررتي الدخول في الفضاء الأسود من أسر الشكل وقيوده. فيما بعد، وفي أعقاب ذلك انصبّ اهتمامي على اللون الأزرق فاستكشفتها واحتفيت به وكان ذلك يعني إغناء أعمالي بسلسلة كاملة من تنوعات الأزرق والتركوازي، ما شكل دخولاً في عالم الفكر والمادة، والاختلافات في الوجود.





مراسل حربي، ٢٠١٤)

أ. إ: ثمة علاقة بين الجسد والتراب في بعض أعمالك. يشعر الناظر بالحضور الميثولوجي يتجلى وأنتك تحاولين إنقاذ الجسد بجعله يعبر حدود التاريخي والميثولوجي ويخلق في عالم رؤياوي يعتقه، هل تسعين إلى إنقاذ الجسد فنياً؟

هيللا بيرينت: إن الجسد الذي أتعامل معه في الفن حر، وإلا لن يكون فناً.

أ.إ: قال ناقدة كتبت عن أعمالك قائلة إنك تحاولين الغوص في الأبعاد الأسطورية والتاريخية لكنك تهربين منها نحو شيء آخر، لماذا تفعلين هذا؟

هيللا بيرينت: إن التحرك عبر طبقات التاريخ هو من تجاربي الشخصية التي كوَّنتها من خلال فضولي وحبتي للحياة، والحياة بالنسبة لي تعني الوجود، ويشكل فيها التاريخ لاعباً جانبياً في ما يحصل من تغيرات. إن الاستقلالية الفريدة للتاريخ يمكن أن تراها في جيولوجيا الصخور، أو جيولوجيا الطين.

أ.إ: ما الذي تعملين عليه الآن؟

هيللا بيرينت: أنا مشغولة الآن بمعرضي الحالي في إيطاليا الذي يقدم قطعاً نحتية جديدة وافتتح في متحف نابولي الوطني للآثار، في مدينة نابولي الإيطالية، وكان هذا حلمياً بالنسبة لي وقد تحقَّق الآن.

أ. كيف تعرّفين نفسك بعد كلّ هذه الأعوام من الإبداع؟

هيلا بيرينت: الفنانة التي تُلهمُ السعادة.

أجرى الحوار: أسامة إسبر



